ويقول ابو الشيص فى هذا الباب ذاكرا ان نعبات الغراب انما هى اعلان عن قرب وقوع الغربة ، والبعاد، وبهذا تحول المعنى اللفظى لكلمة (غراب) من أطلاقها على طائر بعينه الى اشتقاق يفهم منه الغربة والبعد :

اشاقك والليل ملقى الجران
غراب ينوح على غصن بان
احص الجناح شديد الصياح
يبكي بعينين ما تذرفان
وفي نعبات الغراب اغتراب
وفي البان بين بعيد التدان (7)

اما جميل بثينة فانه يحمل الغراب تبعة فراقه لأحبته ، وكأنه هو المسؤول عن ذلك فصوته قبيح بخبره دائما بان لا لقاء له مع حبيبته لذا فهو يدعو عليه بويلات الفراق ، ويكسر الجناح :

الا يا غراب البين فيم تصيح
فصوتك مشئي الي قبيح
وكل غداة لا ابالك تنتحي
الي فتلقاني وانت مشيح
تحدثني ان لست لاقي نعمة
بعدت ، ولا امسى لديك نصيح(8)

ويقول ايضا :

الا يا غراب البين لونك شاحب
وانت بروعات الفراق جدير
فان كان حقا ما تقول فاصبحت
همومك شتى والجناح كسير (9)

ومثل هذا قول قيس بن ذريح فى دعائه على الغراب بان لا يحمل عشه بيضة واحدة ، وان يكون جناحه واهيا ، وهو وان ينكر على الغراب ان يكون عنده علم الغيب الا انه يبدو مقتنعا بما يوحيه صوته من معنى الفراق والقطيعة ، فكيف به والغراب يمر عن شماله بما توحيه فكرة زجر الطائر ، ومروره من شمال الانسان (10) ، من معانى الشؤم والطيرة :

الا يا غراب البين ما لك كلما
تذكرت لبنى طرت لى عن شماليا
اعندك علم الغيب ام انت مخبري
عن الحي الا بالذي قد بداليا
فلا حملت رجلاك عشا لبيضة
ولا زال عظم من جناحك واهيا (11)

ولعلة ما وجدناهم يميزون بين صيحات الغراب، فاذا صاح مرتين فهو شر ، وان صاح ثلاث مرات فهو خير على قدر عدد المرات (12) .

ومن باب التطير من الغراب اطلقوا عليه اسم الاعور ، وهو ليس كذلك ، لانه كما يقول الجاحظ (ناقد البصر ، صافي العين حتى قالوا : اصفى من عين الغراب، كما قالوا اصفى من عين الديك، وسموه الاعور كناية) (13) فهل سموه بالاعور تخلصا من ذكر لفظه الذي يتشاءمون منه ؟ ان كان كذلك فانهم قد تشاءموا من الاعور ايضا - والارجح انهم وصفوه بالاعور ، وكأنهم يشتمونه دلالة على كرههم له .

أما استعمال لفظ الغراب لدلالته اللفظية على اشتقاق أفعال تتناسب وعقلية السامع والمتحدث فهو المجال الذي نريد عرضه هنا ، فهم حين يرون الغراب لا يتطيرون من رؤيته كما اظهرت الشواهد السابقة فحسب ، بل انهم سرعان ما تحدثهم نفوسهم بهواجس سببها طبيعة تركيب حروف كلمة الغراب ، فهم يشتقون منه لفظ الاغتراب والغربة فى الذهن ، وهو بهذا نذير سوء لمن يتملكه الهاجس بهذا الشكل ، ولولا رهافة حس المتشائم لما اشتق من كلمة الغراب ، الغربة وهو الذي يستطيع ان يشتق منها الرغبة ، والبر ، ورغب ، ورب ، وبر مما يمكن أن تؤلفه حروف لفظ الغراب (14) يقول كثير عزة ، وقد راى غرابا ينتف

---

6) شرح ديوان عنترة بن شداد 103 — 104
7) عيون الاخبار 194/1
8) ديوان جميل بثينة 50 .
9) ن. م. 94
10) راجع كتابنا التعابير القرآنية والبيئة العربية : 165
11) الحاسة البصرية 197/1 ، وانظر ايضا ابياتا اخرى فى التطير فى كتاب المعانى الكبير لابن قتيبة 262/1 ، الحيوان 429/3 وحماسة ابن الشجري : 210 ، بلوغ الارب ، 337/2 .
12) الحيوان 458/3
13) ن. م. 335/2 وقد ورد ذلك فى شعر الحطيئة : ديوانه برواية ابن السكيت : 155 ، وفى شعر ابى حية النميري فى الحيوان 428/3 .

ريشه متجسدت امامه كل معاني الشر ، اما البان الذي وقف عليه الغراب فسرعان ما اشتق منه لفظ البين :

رايت غرابا واقعا فوق بانة
ينتف اعلى ريشه ويطايره
تقلت ولو اني اشاء زجرته
بنفسي للنهدي هل انت زاجره

والنهدي رجل من بني نهد — وهم من أزجر العرب واكثرهم تفسيرا لحوادث المستقبل من ظواهر يرونها :

متال غراب باغتراب من النوى
وبالبان بين من حبيب تعاشره (15)

فالشاعر هنا لم يكتف باشتقاق الغربة من لفظ الغراب بل اشتق من لفظ البان البين والفراق في الوقت الذي اقترنت دلالة البان عند الشعراء المتغزلين بوصف المحبوبة ، لانهم كثيرا ما شبهوا النساء الرشيقات به ، ولكن الشاعر وجه دلالة الكلمة من اطلاقها على غصن بعينه الى دلالة لفظها بما يشتق منه .. وقد بنوا على هذه الرواية خبرا فصلوا فيه كيف ان كثيرا حين راى الغراب ينتف ريشه ، ويطايره عن راسه ، تشاءم ثم ذهب الى عراف من نهد فاخبره الخبر المشئوم (16) بوفاة صاحبته :

ويقول شاعر آخر جامعا دلالتي البين والغربة في بيتين من الشعر :

تغنى الطائران ببين سلمى
على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمى
وفي الغرب اغتراب غير دان (17)

والصرد

طائر آخر لم يذكر القدماء أن العرب تشاءمو منه تشاؤمهم من الغراب ولكن الشاعر المحب اليائس من وصال حبيبته يغير دلالة الكلمة من اطلاقها على طائر بعينه الى اشتقاق لفظ ينسجم مع نفسيته المتالمة فيذكر التصريد وهو التقليل دلالة جديدة يحيط بها لفظ الصرد الذي رآه واقفا على غصن من الغصون :

دعا صرد يوما على غصن شوحط

وصاح بذات البين منها غرابها
تقلت أتصريد وشحط وغربة
فهذا لعمري نايها واغترابها (18)

اما الشوحط الذي هو ضرب من الشجر تتخذ منه القسي فان الشاعر هنا اشتق لفظ الشحط وهو النوى فزاده ذلك أسى وحزنا .

والغصن الذي اقترنت دلالته في ذهن الشعراء والناس عامة بالخضرة والجمال والفتنة وقرنوا حركاته الرشيقة اذا لاعبته الريح الهادئة بتهادي المحبوبة ، هذا اللفظ نجده عند بعض الشعراء يفقد دلالاته الجميلة

---

14) على ان هناك امثلة اخرى لشعراء رفضوا فكرة التشاؤم من الغراب ، وتفاخروا بانهم اذا قصدوا امرا فانهم لا يثنيهم عنه صوت غراب او غيره انظر الحيوان 149/3 ، عيون الاخبار 145/1 ، اللسان مادة (وقي) . اما عبيد الله بن قيس الرقيات فانه لم ينكر التطير من الغراب فحسب ، بل تجاوز ذلك الى التفاؤل به ، واعتبر نعيقه رسالة بشرى من صاحبته سعدى بأن وصالها سيكون قريبا . ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : 84 .

15) ديوان كثير عزة ، الحيوان 441/3 وقد ذكروا قصة منسوبة لابي ذؤيب يتشاءم فيها من جملة امور يشتق منها الفاظا يفسرها حسب هواه ، وانه ما ان قدم المدينة حتى سمع بكاء المسلمين على الرسول صلى الله عليه وسلم ونعيهم له — بلوغ الارب 314/3 .

16) الموشى : 175 وفي رواية اخرى ان العراف كان من بني الازد ، وانه قال له تذهب مصر ، وتراها قد ماتت او خلف عليها رجل من بني عمها ، فلما انصرف وجدها قد تزوجت، عيون الاخبار 148/1 .

17) الحيوان 440/3 ونسب ابن قتيبة البيتين للشاعر المسمى بالمعلوط عيون 149/1 ، وهما في نثار الازهار لابن منظور : 75 منسوبان لجحدر بن الفتمسي .

ويقتصر على دلالة واحدة مؤلمة يشتقونها من بعض حرونه ، وهى الغصص والحرقة والالم :

اقـول يـوم تلاقينـا وقد سجمت
حمامتـان على غصنيـن من بـان
الآن اعلم ان الغصن لـي غـصص
وانما الـبـان بين عـاجـل دان
فرحت تخفضني ارضـى وترفعني
حتى ونيت وهدّ السير اركاني (19)

واذا كان الشاعر لا يرتاح لهبوب الجنوب لانها ريح تزيد ضيق نفسه بهوائها الحار فان المتشائم يضيف اليها دلالة اخرى لا علاقة لها بطبيعة هـذه الريح ، وانما يشتق منها لفظ الاجتناب عن الاحبة ، والبعد عنهم . اما الصبا التى طالما تغنى بها شعراء الغزل ؛ لانها تذكرهم بانفاس من يحبون ، او انهم يتخيلون عند هبوبها وشم نسائمها العليلة انها تحمل تحيات احبائهم البعيدين ، الا ان المتشائم ينسى كل هذه الصور الجميلة ، ولا يبقى فى ذهنه الا اللفظ الذي يشتقه عن تركيب حروفها وهى **الاجتناب من الجنوب** والصبابة والهجر من **الصبا** اما القضية التى وقـف عليها الغراب فقد اشتق منها لفظ قضب الهـوى اي قطع المودة يقول ذو الرمة :

رابت غرابا ساقـطـا فوق قضبة
من القضب لم ينبت لها ورق خضر
فقلت غـراب لاغتـراب وقضبـة
لقضب الهوى هذي الميافة والزجر
وهبت جنوب باجتنابـي منـهـم
وهاجت صبا قلت الصبابة والهجر(20)

وقد جمع الجاحظ مجموعة من الالفاظ فى قطعة شعرية انشدها على لسان صاحب الغـراب الذي احتج لتشاؤم الناس منه بقوله :

نظـرت واصحابي ببطن طـويلـع
ضحيا وقد افضى الى اللبب الحبل
الى ظبية تعطو سيـالا تصـوره
بجانبها الأفنان ذو جـدد طفـل
فقلت وعفت **الحبل حبل** وصالهـا
تجذذه سلمـاك وانصرم الحبـل
وقلـت سيـال قـد تسلت مودتي
تصور غصونا صار جثمانها يعلـو
وعفت الغدير الطفل طفلا أتت به
فقلـت لأصحابي مضيتكـم جهـل
رجوعي حـزم وامترائي ضـلـة
كذلك كان الزجر يصدقني قبل (21)

فصاحب الغراب هنا يحتج على تشاؤمهم مـن الغراب ، واشتقاقهم الغربة منه ، وكل لفظ يحتمل عدة اشتقاقات قد يكون من ضمنها معان يتشاءم منها، فلم خص الغراب بها ؟ ولذلك جاء بالابيـات التـى شحنت بالالفاظ التى يمكن ان يشتق منها ما يـدل على التشاؤم فقد راى الشاعر ظبية تجاذب شجرة مع طفل لها فاشتق من السيال (نوع من الشجر) لفظة توحى له بان مودة صاحبته قد تسلت ، واما الحبل فهو تنبيه له بانها ستقطع حبل وصالـهـا ، وتهجره . واشتق من الطفل المصاحب للظبية طفلا تلده صاحبته اي انها ستتزوج قريبا فتبتعد عنه...وهكذا من مشهد واحد التقط الفاظا اشتق منها ما يتشاءم منه ليستدل بذلك على ان الغراب ليس وحده الذي يتشاءم منه او يشتق من لفظه لفظ الغربة والاغتراب ...

ونجد عكس هذه الابيات ومعانيها فى قصيدة لابى حية النميري ينهج فيها منهجا مختلفا تماما عن منهج المتشائمين ، فهو ان سار مع قومه متجها الى ارضهم لا تسيره الا النية الصالحة والفال الجميل ، وكل مـا يراه من مظاهر يتشاءم منها القوم ان هـى فى نظره دوافع تدفعه الى الاستمرار على ما اقدم عليه فـان مر طائر سنيح لم يتشاءم منه بل فسره بانه جـار مر قربه ، وان اشتق القوم لفظ **العقاب** اذا راوا **عقابا** وتشاءموا منه فانه يشتق من نفس اللفظ صيغة تدخل السرور الى نفسه وهى ان القرب من الديار سيعقبهم بعد البعاد ، وان راوا **الهدهد** وتشاءموا منه اشتـق بسرعة لفظة ترسم فى ذهنه **دوام المحبة والصفاء** ، وان راوا **هدهدا** فوق بانة فذلك فى نظره هدى وبيان

---

18) الحيوان 437/3 والبيتان فى زهر الاداب 168/2.
19) بلوغ الارب 335/2 وفيها تحريف صوبناه اذ كتبت الكلمة الاولى من البيت الاول اقوم ، وكلمة هد فى البيت الثالث محرفة الى حد .
20) ديوان شعر ذي الرمة 300 ، بلوغ الارب 336/2 .

للطريق الذي توجهوا نحوه وليس البين والفراق كما يشتق الآخرون - اما اذا راوا **حمامات** واشتقوا من لفظها الحمام الموت او ربما **الحمى** (المرض) او حمّ الفراق - فان شاعرنا يتفاءل ويشتق من الحمامات حم القرب والوصال :

بدا اذ تصدنا عامدين لارضنا
سنيح فقال القوم مر سنيح
وهب رجال ان يقولوا وحمحموا
فقلت لهم جار الي ربيح
عقاب باعقاب في الدار بعدما
مضت نية لا تستطاع طروح
وقالوا دم دامت مودة بيننا
وعاد لنا غصن الشباب قريح
وقال صحابي هدهد فوق بانة
هدى وبيان في الطريق يلوح(22)
وقالوا حمامات نحم لقاؤها
وعادت لنا ريح الوصال تفوح

ومثل هذه الالفاظ التي ذكرناها الفاظ اخرى تشترك دلالتها ومعانيها باختلاف نفسية السامع او المتكلم **فالريحان** يقترن في نفسية المتفائل بالروح وشكله الجميل يضفي على دلالة لفظه معنى الفرح والاستبشار ، اما المتشائم فانه يتطير منه لانه يتذكر (بان طعمه مر وان كان في العين والانف مقبولا)(23) .

وذكر الوشاء بانهم تطيروا من الخلاف — وهو صنف من الصفصاف وحبه اكبر من الحمص — لانهم اشتقوا من لفظه الخلف والخلاف والاختلاف (24)

ومن هذه الالفاظ ايضا **الخروبة** ، وهي نبت معروف ولكنهم اشتقوا منه لفظ الخراب ، ويروون خبرا واسطورة عن النبي سليمان يؤكدون به صحة ما يشتقون منه هذا اللفظ ، وذلك انهم يقولون بان الشجر الذي كان في محراب سليمان النبي كانت متكلمة بلسان ذلق فكانت الشجرة تقول : انا شجرة كذا وفي دواء كذا فيامر بها سليمان فيكتب اسمها ، وصفتها وصورتها ، وتقطع وترفع في الخزائن حتى كان آخر ما جاء منها الخروبة فقالت : انا الخروبة فقال سليمان الآن تعيت لي نفسي ، واذن في خراب بيت المقدس(25).

●

ومن الالفاظ التي يعدل عنها الى غيرها مجموعة لها معان معجمية معينة فيعدل عنها الى غيرها قد تكون ضدها في المعنى وهو ما يسمى بالعربية بباب الاضداد الذي بحث فيه علماء اللغة واختلفت آراؤهم فيه فبعضهم انكر وجوده وراح يذكر العلل والاسباب والشواهد التي تبين سبب وقوع هذه الظاهرة في بعض الالفاظ وحكمة وجودها كالاصمعي وابي عبيدة والسجستاني وابن السكيت وثعلب وابن الانباري وغيرهم (26) ومنهم من انكر وجود هذه الظاهرة اللغوية وتاول كل الالفاظ الواردة في اللغة العربية لينكر وجود ما يسمى بالاضداد مثل ابن درستويه الذي ذكره السيوطي في المزهر وانه الف كتاب ابطال الاضداد (27) ومنهم من اعتبر الاضداد

---

21) الحيوان 444/3
22) الحيوان 445/3 ، زهر الاداب 167/2 ، بلوغ الارب 336/2
23) الحيوان 457/3
24) الموشى للوشاء : 175
25) عيون الاخبار 150/1
26) ممن الف في الاضداد من القدماء محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة 206هـ وقد نشر كتابه المستشرق برونله سنة 1900 ، وحققه هانس كونلر وطبعه ضمن مجلة اسلاميكا المجلد الخامس سنة 1931 ونشر المستشرق اوغست هوفنر ثلاثة كتب في الاضداد هي الاضداد للاصمعي والاضداد لأبي حاتم والاضداد لابن السكيت وقد طبعت ببيروت سنة 1913 بمطبعة اليسوعيين وطبعت بمطبعة الكاثوليك 1922 ، والف سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان كتاب (الاضداد) ونشر ضمن مجموعة بتحقيق محمد حسين آل ياسين وطبع في النجف سنة 1953 ، ثم أعيد طبعه ببغداد سنة 1963 ، والف ابو القاسم بن الانباري المتوفى سنة 328 هـ كتاب الاضداد في اللغة وقد نشر في ليون نشره المستشرق هولسما سنة 1881 ثم في 1925 ، واخيرا طبع بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم سلسلة تراث العرب — الكويت 1960 ، وقد كتب له تقي الدين عبد القادر التميمي المصري ت 1005 هـ مختصرا لكتاب ابن الانباري ، كما الف حسن بن محمد الصنعاني المتوفى سنة 605 هـ كتابا في الاضداد ايضا (انظر كشف الظنون ج1/115 — 116) الطبعة الثالثة .

منقصة للعرب وطعنا يتهمون به اصحاب هذه اللغة بالتناقض وقلة البلاغة وقد سماهم ابن الانباري بانهم من اهل البديع والزيغ والازراء بالعرب (28) . وقد عالج هؤلاء المؤلفون الفاظ الاضداد وورودها في اللغة والشعر وسنتناول ما يفيدنا في دلالة الالفاظ والعدول عن معانيها التي وضعت لها اصلا الى معان هي ضدها حقيقة ولكنهم يلجأون اليها لسبب قد يكون تفاؤلا او مجاملة وتأدبا ، أو تهربا من حرج فتبتدو لبعضهم وكأنها اضداد للفظ نفسه .

فمن الالفاظ التي يعدل عنها الى ضدها ما يدخل ضمن موضوع التفاؤل والامل مثل تسمية العرب **المريض بالسالم .**

واللديغ بالسليم

وقد نص الاصمعي وابو عبيد وغيرهما على ان العرب سمت المريض بالسالم واللديغ بالسليم على جهة التفاؤل بالسلامة خلافا لما يحذر عليه منه(29) ولكي يدخلوا السرور والامل في نفسه ونفس أهله.. ثم نسي الاصل وبقي لفظ السليم « الصفة » يطلق اسما لكل من تلدغه حية ، يقول الشاعر :

ارقت ونام عني من يلوم
ولكن لم انم انا والهموم
كأني من تذكرها الاتي
اذا ما اظلم الليل البهيم
ومن تاميل رؤية ام جهم
وقد خفيت مع الغور النجوم
سليم مل منه اقتربوه
واسلمه المجاور والحميم (30)

فالشاعر هنا يشبه تقلبه على فراشه ليلا ، وارقه بسبب تذكر محبوبته بتقلب اللديغ المتألم من اوجاع السم في جسده، ولكنه لم يستعمل اللفظ الاصلي بل استعمل الصفة التي ذكرناها مع انه لم يرد بها التفاؤل في هذا الموضوع .

ويقول شاعر آخر في نفس هذا المعنى :

بلاقي من تذكر آل ليلى
كما يلقى السليم من العداد

وقد يستعار لفظ السليم للجريح المشفي على الهلكة والموت ، وعدم اطلاق اللفظة او استعارتها للجريح مطلقا توضح ما قلناه من انها استعيرت تفاؤلا ولكي يدخلوا السرور والامل في نفس الجريح او ذويه اذا شعروا ان جريحهم اشفى على التلف والهلاك وقد انشد ابن الاعرابي :

يشكو اذا شد له حزامه
شكوى سليم ذربت كلامه (31)

قال وقد يكون السليم هنا اللديغ ، وسمي موضع نهش الحية منه كلما على الاستعارة ، على ان هناك شاهدا آخر تذكره كتب اللغة في استعارة لفظ السليم للجريح المشفى على الهلاك وهو قول الشاعر :

وطيري بمخراق اشم كأنه
سليم رماح لم تنله الزعانف(32)

ومن هذه الالفاظ المفازة وهي اسم للصحراء الواسعة الاطراف التي قد يتوقع فيها الهلاك والضياع واطلق عليها بدلا من تسميتها او وصفها بالمهلكة تفاؤلا لمن يزمع السفر فيها ، وتيمنا له بالفوز والنجاة . قال الاصمعي وابو عبيد وغيرهما : سميت مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز كما قيل للاسود ابو البيضاء وقيل للعطشان ريان (33) . على ان بعضهم ممن ينكر الاضداد ويتأول الالفاظ وجه اللفظة توجيها آخر وأنها مفعلة من قول العرب قد فوز الرجل اذا هلك (34) . وارجح ان يكون لفظ المفازة من الالفاظ

---

27) المزهر 396/1
28) الاضداد في اللغة لابن الانباري ص 2 .وانظر الصاحبي لابن فارس ص 666
29) عيون الاخبار 146/1 ، الاضداد للسجستاني 114 ، لسان العرب مادة (سلم)
30) بلوغ الارب 338/2
31) لسان العرب مادة (سلم) تاج العروس (سلم) وتأول بعضهم لفظة السليم على انها ليست من الاضداد وانما هي من سلم اي انه مسلم لما به وما ذكرناه إعلاه مرجح عليه للنصوص التي ذكرناها .
32) الصحاح ، لسان العرب ، تاج العروس مادة فوز
33) لسان العرب (فوز)

التي عدل بها عن ضدها تفاؤلا وتيمنا ، وهو امر شائع بالعربية وقد اشار اليه بعض الشعراء وهو يهجو رجلا اسمه كثير بان اباه ما سماه بهذا الاسم الا من باب قلب المسميات الى اضدادها ولانه راى نفسه قليلا عاجزا عن تعداد المفاخر والامجاد ، يقول :

احب النسال حين راى كثيرا
ابوه عن اقتناء المجد عاجز
فسماه لقلته كثيرا
كتقليب المهالك بالمفاوز (35)

●

وهناك الفاظ يعدل عنها الى اضدادها ادبا وحسن تخلص . فالبرص بما يوحيه من معاني الالم في نفسية صاحبه او لما يثيره من مشاعر الاسف او التقزز في نفسية السامعين عدل عنه العرب — في بعض الالفاظ — الى لفظ آخر يكنون به عنه .

فجديمة الابرش بن مالك بن فهم الازدي ملك العرب سمي بالابرش الوضاح (36) لانه كان ابرص فهابت العرب ان تقول له الابرص فكنوا به عنه تهربا من لفظة تذكره بعيبه او مرضه او ربما يشم منها لفظ تعييس وشتيمة .

ومن هذه الالفاظ البصير للرجل الاعمى الذي فقد بصره وقد ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم اذهب بنا الى فلان البصير وكان اعمى .

ومن هذه الالفاظ ايضا الابيض حين تطلق على الاسود لئلا يفهم من الوصف شتيمة او عيبا ومثلها الممتع للاعور ، وما يزال عامة الناس في العراق اذا ارادوا ان يصفوا رجلا بالعور كنوا عنه بعبارة (كريم العين) ادبا وتهربا من سوء الفهم اذا تبادر الى الذهن أن المتكلم قد يقصد المنقصة والعيب .

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : العقل على المسلمين عامة ولا يترك في الاسلام مفرح (37) . قال الاصمعي المفرح : المثقل الدين ؛ وقال ابو بكر بن الانباري اي يقضى دين المفرح من بيت المال اذا لم يجد سبيلا الى قضائه ، يقال قد افرح فلانا الدين اذا اثقله قال الشاعر :

اذا انت لم تبرح تؤدي امانة
وتحمل اخرى افرحتك الودائع

اراد اثقلتك (38) ولفظ مفرح هذه يبدو أول وهلة من الفاظ الاضداد ولكنها تبين أخلاق العرب عامة والرسول صلى الله عليه وسلم خاصة في اختياره اللفظ الذي يدخل السرور الى نفس الحزين اليائس ، فالذي اثقلته الديون ولم يجد سبيلا الى قضائها اوجب الرسول صلى الله عليه وسلم قضاء دينه من بيت المال وسماه (المفرح) اي الذي يجب ان يدخل الفرح الى نفسه بدلا من اطلاق الصفة الحقيقية له وهي (اليائس والحزين) فجاءت الكلمة ضدا للمعنى الاول على الظاهر .

وقد اعتبر الخفاجي هذا الضرب من الالفاظ التي يعدل عنها الى ما يخالفها من باب حسن الكناية، واعتبره شرطا من شروط الفصاحة (39)

ونجد في الاخبار والنوادر حكايات طريفة في حسن التخلص والكنايات الجميلة ، من ذلك ما يحكى من ان رجلا مر في صحن دار الرشيد ، ومعه حزمة خيزران فقال الرشيد للفضل بن الربيع ما ذاك ؟ فقال اعروق الرماح يا امير المؤمنين ، وكره ان يقول الخيزران لموافقته اسم والدة الرشيد (40) .

ومن حسن التخلص مما قد يتشاءم منه ما ذكر من ان المنصور بلغه خبر خروج محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة وهو في بستان له ببغداد فنظر الى شجرة فقال للربيع : ما اسم هذه الشجرة؟ فقال : طاعة يا امير المؤمنين ، وكانت خلافا فتفاءل المنصور بذلك ، واعجب من ذكائه (41) . وواضح انه عدل عن لفظ الخلاف — وهو اسم الشجرة التي

---

34) بلوغ الارب 338/2
35) تاج العروس مادة برش وقد تاول بعضهم لفظة البصير ايضا فراى انها من قوة البصيرة او ان المقصود بالحديث النبوي هو البصير المؤمن.
36) النهاية في غريب الحديث لابن الاثير 188/3 .
37) الاضداد في اللغة لابن الانباري 197
38) سر الفصاحة : 157
39) الكنايات : 53
40) ن.م.

سئل عنها ـ الى الطاعة لما يقترن في الذهن من اشتقاق لفظي لمعنى الخلاف مثل الذي مر بنا اول البحث .

ويروي الخفاجي حادثة طريفة تتعلق بالكنايات ـ وان لم تدخل ضمن الفاظ الاضداد ـ ولكنها تعطينا صورة عن ذوق العرب ، ودقتهم في اختيار الالفاظ المناسبة للقول قال : (وخبرني من اثق به عن رجل من اهل بغداد يصنع الغزل من الذهب قال: احضرني الوزير ابو الحسن علي بن عبد العزيز المعروف بابن حاجب النعمان وزير القادر بالله ، واخرج اليّ علما مذهّبا عليه اسم المقتدر بالله قد بلى ، وخلق ، وبقي فيه الذهب فقال لي : كيف السبيل الى اخذ ما على هذا من الذهب فقلت : يحرق ، فصاح صيحة عظيمة وقال : ويلك ! ما هذا التهجم ؟ احرق اعلام امير المؤمنين ! وامر باخراجي ، فدفعت وقد قاربت التلف من هيبته ، والخوف منه ، وتعقبني اهل المجلس بالسؤال في بسط عذري بعدم الفهم لما انكره علي ، فامر باعادتي اليه ، وقال : هيه ، ما الذي تقول؟ قلت : ما يرسم سيدنا الوزير ، فقال : قل : يستخلص فقلت : يستخلص ، فقال : خذه ، وانصرف . فاخذت العلم ومضيت فاحرقته ، واحضرت له ما خرج فيه من الذهب (42) .

ومما يدخل ضمن هذه المجموعات الثلاث من الالفاظ مجموعة هي في الاصل مسميات لاشياء تؤكل او تلبس او تهدى ، ولكن دلالة الفاظها من حيث اشتقاق بعض الافعال منها جعل بعض مرهفي الاحساس يلبسونها معاني جديدة ، لا علاقة لها بما اطلق عليها ، او لا علاقة لها بمسمياتها . وسوف نحاول ان نستقي هذه الاخبار من كتاب مهم جدا وهو كتاب الموشى او (الظرف والظرفاء) للوشاء والذي يمكن ان يعد كتابا في رسم السلوك الاجتماعي لمجموعة من الناس عرفوا بالظرفاء في زمانهم ، وقد رسم الوشاء لهم طريق الظرف او ما اعتبر في زمانهم مثال الذوق والتادب والظرف سواء في طريقة الجلوس او اللباس او في آداب الاكل والشرب او في التهادي والمجاملة، مما يمكن أن يعم اكثر من تعميم التطير والفال الذي اقترن ببعض الالفاظ ، وسلوك بعض الافراد ، والنفسيات المتشائمة ، اما ما ورد في كتاب الوشاء وغيره يمكن أن يعمم اكثر ليكون ظاهرة تشمل هذه المجموعة من الناس التي كان لها دورها في مجالس الادباء ، وذوي الشان ، وهي المجموعة التي أطلق عليها اسم الظرفاء .

ـ لقد كان هؤلاء الظرفاء مرهفي الاحساس ، حادي الشعور ، يتسم سلوكهم بالادب والمجاملة ، والذوق الراقي في كلامهم مع مجالسهم ، او في مخاطباتهم ومهاراتهم مع من يحبون ، وكانوا ادباء وشعراء او ندماء اعتادوا مجالسة الادباء والشعراء وذوي الشان .

فقد كرهوا تهادي **الشقائق** وهو ضرب من الورود معروف لانهم نظروا الى الحروف التي يتكون منها هذا الاسم فوجدوا ان الثلاثة الاولى منها يمكن ان تشكل لفظ **الشقاء** او الشقا ، كما انه يمكن تركيب لفظ الشقاق ـ وهو اكثر ما يخافه المحبون ـ ولم يشفع لهذا اللفظ كونه دالا على الورود الحمراء التي تذكر بخدود الحبيبة كما هو شانهم مع التفاح وتهاديه . يقول الشاعر :

لا تراني طوال دهري اهوى الشقائقا
ان يكن يشبه الخدو د فنصف اسمه شقا (43)

واما السفرجل فانهم اشتقوا من لفظه كلمة السفر مما يوحي الى نفوسهم بالقطيعة والبعد لذا كرهوا تهاديه ، وتشاءموا منه . يقول الشاعر ، وقد اهداه بعضهم سفرجلا فرفضه قائلا :

اهديت اليه سفرجلا فتطيرا
منه وظل متيّما مستعبرا
خاف الفراق لان أول اسمه
سفر فحقّ له بان يتطيرا (44)

واشتقوا من لفظ (**السوسن**) كلمة السوء ، لذا اعتبر بعض الشعراء اهداء السوسن نذير سوء ، واشارة شرّ :

---

41) سر الصناعة 157
42) الموشى 173
43) الموشى : 170 ـ